البحرية المصرية وعملية الحفار الإسرائيلي كينتنج مارس ١٩٧٠

حسين مختار أحمد سليمان
باحث ماجستير كلية الآداب جامعة عين شمس

بعد حرب سنة ١٩٦٧ ومع إعادة بناء الجيش المصري ، وتصدي مصر للاستفزازات الإسرائيلية، وأوضح مثال على ذلك استمرار حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية لمدة ثلاث سنوات حتى أغسطس سنة ١٩٧٠ ، تجاوزت الظروف مرحلة الغارات التي كانت تشنها إسرائيلي لتأديب مصر وتلقينها الدرس ، وأصبحت المعركة سجالا بين الطرفين ، أواخر سنة ١٩٦٩ حاولت إسرائيل فرض الأمر الواقع على مصر، حيث رأت أن تزيد سحب البترول من آبار البترول المصرية الموجودة بخليج السويس[١] ، في منطقة كانت قد أعطت امتياز الحفر بها لشركة إينىEny الإيطالية ، وكان الحفر يحتاج إلى حفار دولي. بدا للقيادة المصرية أن الغرض الأساسي من شراء إسرائيل للحفار والتنقيب عن البترول لم يكن اقتصاديا ولا سياسيا، رغم أن وجود الحفار سيدعم سيادتها ، وإنما كان الغرض الرئيسي هو إذلال مصر وإظهارها أمام الأصدقاء والأعداء بمظهر العاجز لا عن حماية أرضه فقط، بل وموارده الطبيعية أيضا ، وهو ما يؤدي إلى تخلي مصر عن دورها في مناصرة القضية الفلسطينية[٢].

حاولت مصر توسيط كل من الهند ويوغوسلافيا ،بحكم علاقتهما بإسرائيل، لإثنائها عن مسعاها، ولكن المحاولة باءت بالفشل[٣] ، الأمر الذي دفع الرئيس جمال عبد الناصر لاتخاذ قرار بضرب الحفار عند دخوله البحر الأحمر عن طريق باب المندب، بواسطة القوات الجوية المصرية، حيث طرح عبد الناصر رأيه أثناء اجتماعه بوزير الحربية الفريق أول محمد أحمد صادق، ورئيس جهاز المخابرات العامة السيد أمين هويدي، ولقد اقترح الأخير أن تسند المهمة للمخابرات العامة المصرية، ووافق الرئيس على هذا الاقتراح . تم عرض عدة حلول لتدمير الحفار، آخرها هو اللجوء للقوات الجوية المصرية لتدميره في حالة إفلاته .

كانت بداية الإعلان عن الحفار في شهر نوفمبر سنة ١٩٦٩، عندما نشرت وكالات الأنباء خبراً عن عزم إسرائيل على التنقيب عن البترول في خليج السويس، وكان الخبر مبهماً، فبدا كحرب نفسية لولا أن وكالات الأنباء عادت مرة أخرى تذيع خبرا مفاده أن إسرائيل استأجرت حفارا للتنقيب عن البترول في سيناء، ولم يكن ممكنا أن تسكت مصر، وفي نفس الوقت لم تكن هناك أية معلومات عن الحفار ولم يكن اسمه معروفاً، أين هو، في أي ميناء يرسو، ما حجمه، ما هي الشركة التي صنعته ولا الشركة التي تملكه أو التي استأجرته ، في أي الأجواء يمكن العمل فيها، على أي عمق يستطيع التنقيب، وعمق المياه التي يعمل فيها ، وماهي جنسية القاطرة التي تسحب الحفار للبحر الأحمر وقوتها[٤] ؟

مع نشاط الدبلوماسية المصرية كانت هناك حركة خفية بواسطة رجال المخابرات العامة المصرية، حيث كان المطلوب منهم أن يعثروا على الحفار، لتدعيم الجهود الدبلوماسية التي تقوم بها القيادة السياسية المصرية ، لمعرفة معلومات عن حفار لا وجود له و لا تعرف عنه أي مواصفات، كما كان مطلوباً في حالة فشل الجهود الدبلوماسية أن يتعامل رجال المخابرات المصرية مع الحفار ، قبل أن يدخل البحر الأحمر، سواء بالتدمير أو التعطيل عن العمل.

على كل حال تأكدت المعلومة باستئجار إسرائيل للحفار[٥] وأن الإعلان عنه ليس من قبيل الحرب النفسية ، فبدأت عملية تقدير الموقف وظهرت عدة أسئلة منها، إذا كانت إسرائيل قد أذاعت النبأ فلماذا تخفي أخبار الحفار وهي تستطيع أن تحيطه بالحماية ؟ فليس من المنطقي أن تسدل إسرائيل كل هذه السرية على الحفار ، ثم يظهر فجأة في مياه البحر الأحمر، و هل تهدف إسرائيل من وراء هذه السرية وظهور الحفار في البحر الأحمر، أن يقوم الطيران المصري بضربه، مما

يحقق هدف إسرائيل بالرد العنيف، في العمق بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية ، وتكون مصر هي المعتدية [٦] ؟

استدعى الفريق أول محمد أحمد فوزي وزير الحربية اللواء محمود عبدالرحمن فهمي قائد القوات البحرية المصرية أخبره بتفاصيل المؤامرة الإسرائيلية وبأن الرئيس جمال عبدالناصر يكلفه بصفته قائدا للقوات البحرية بالعمل على منع وصول هذا الحفار إلى منطقة خليج السويس ، وأنه يفضل تدمير الحفار قبل دخوله، وبصفة سرية، حتى لا يتخذ الإسرائيليون ذلك ذريعة لتدمير حقل البترول المصري مرجان في خليج السويس[٧]، ولقد استعان رجال القوات المصرية برجل أعمال لبناني الأصل يقيم في كندا، للحصول على بيانات عن الحفار، حيث اتضح أن الحفار تقوم بقطره القاطرة الهولندية "جاكوب فان هيمو كيرك" ، تحت حراسة أفراد من البحرية الإسرائيلية (شكل –٤) ، وفي ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٩ أذاعت دولة الكويت نقلا عن وكالة الأسوشيتد برس خبرا يقول "إن الولايات المتحدة الأمريكية حاولت إقناع إسرائيل بالتخلي عن خططها للتنقيب عن البترول في خليج السويس ، غير أن المساعي الأمريكية توقفت بناء على طلب إسرائيل".

ويعني الخبر أنه بالرغم من العلاقات الدبلوماسية المقطوعة وقتها بين مصر وأمريكا، فإن اتصالا قد حدث بهذا الشأن، وأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تصنع شيئا، لزمت مصر الصمت أمام التصريح لأن رجال المخابرات العامة بدأوا يمسكون بخيط الموضوع، وفي ١٩نوفمبر سنة ١٩٦٩ كتبت جريدة ديلي اكسبريس اللندنية "أن هناك أزمة تهدد مصالح بريطانيا في الشرق الأوسط ، وأن سبب الأزمة هو اتفاق إحدى الشركات التي مقرها لندن للتنقيب عن البترول في سيناء، ويدل الخبر على أمرين هما : أن الاتصالات الدبلوماسية المصرية بدأت تجني بعض

الثمار، أن المصريين توصلوا إلى شئ ما عن الحفار. لزمت مصر الصمت مثلما فعلت أمام تصريح إذاعة دولة الكويت، وفي ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦٩ صدر تصريح من المستر جون كينج رئيس شركة كينج ريسورسKing Resource جاء فيه " أن شركته قد قصرت نشاطها في إسرائيل على الدراسات الجيولوجية ، عن طريق إحدى فروعها في لندن، وهي شركة ميديار- Medyar ، أما عمليات التنقيب نفسها فسوف تقوم بها شركة كينج"[٨] .

بهذا أعلنت إسرائيل عن نيتها في التنقيب عن البترول ، واستئجارها للحفار، وكانت شركة ميديار تتبع شركة أمريكية، وبهذه المعلومات والتصريحات أصبح الحفار كندياً، إنجليزياً، هولندياً، أمريكياً، كان الحفار إنجليزيا لأن شركة ميديار، التي ستقوم باستغلال الحفار مقرها لندن ، وكان أمريكيا لأن شركة ميديار فرع من فروع شركة كينج ريسورس الأمريكية و مقرها مدينة دنفر عاصمة ولاية كولورادو، وكان كنديا بالجنسية حيث قامت ببنائه شركة ديفنDeyven لبناء السفن وتم صنع الحفار لحساب شركة بتروليا الكندية، وكان هولنديا لأن القاطرة التي ستسحبه والتي يقودها كابتن فان كيرك Fan Kereke اسمها جاكوب فان هيمو كيرك Jackob Fan HymoKeyrake، وإسرائيلياً لأن إسرائيل هي التي استأجرته للتنقيب عن البترول في أرض تحتلها ولا تمتلكها ، بذلك لم يكن أمام مصر سوى طريقين لا ثالث لهما هما:إما ضرب الحفار بالطيران عند دخوله البحر الأحمر، وفي هذه الحالة تواجه الدول الخمس،أو التراجع فيتم إذلالها بالتنقيب عن البترول في أرضها[٩].

في ٥ يناير سنة ١٩٧٠ أدلى المتحدث المصري الرسمي عصمت عبد المجيد، لصحيفة جلوبو / Globo الإيطالية ، بتصريح قال فيه "أن شركة ميديار

بدأت البحث عن البترول في سيناء ، وأن مصر لن تتوانى عن التصرف إذا ما قررت إسرائيل استغلال مصادرها البترولية في سيناء" (١٠).

وتم الاستعانة بخبراء مصريين في الملاحة البحرية ، الذين أكدوا أن الحفار لابد أن يقف في ثلاث محطات، اثنان منها على الشاطئ الغربي لقارة أفريقيا أثناء رحلته من كندا إلى طريق رأس الرجاء الصالح بجنوب أفريقيا، ومنه إلى البحر الأحمر فخليج السويس، وهذه المحطات المحتملة هي : داكار عاصمة السنغال ابيدجان عاصمة ساحل العاج "كوت ديفوار حاليا" ، لاجوس عاصمة نيجيريا، بذلك أصبحت المشكلة هي العمل في أرض غريبة، مع توافر الإمكانيات والمعدات وأشارت الدراسات إلى أن أنسب مكان للتعامل مع الحفار يكون شمال الحدود الجنوبية لنيجيريا ذلك لأن علاقة القاهرة مع معظم هذه الدول علاقات صداقة، مما يتيح حرية العمل بدرجات متفاوتة، في الوقت الذي كانت فيه الدول جنوب هذا الخط مناطق مغلقة بالنسبة لمصر، حيث تقع في إفريقيا السوداء، وكانت هذه الدول تدور فيها معارك عنيفة للحصول على استقلالها (١١).

وفي حالة اجتياز الحفار هذه المنطقة شمال نيجيريا فلن يتسنى لمصر التعامل معه إلا في النقطة المحصورة بين دار السلام عاصمة تنزانيا، أو جيبوتي على الساحل الشرقي لأفريقيا، وهذا أمر لم يكن مستحباً إذ لن يترك لمصر مجالا كبيرا للتحرك قبل أن يدخل الحفار البحر الأحمر (١٢).

بعد تكليف وزير الحربية الفريق أول محمد أحمد فوزي لقائد القوات البحرية المصرية اللواء محمود عبد الرحمن فهمي بتدمير الحفار، طلب قائد البحرية المصرية مساعدة المخابرات العامة المصرية للحصول على المعلومات الخاصة بالحفار، ونقل الأفراد المنفذين ومعداتهم وألغامهم ، فأخبره وزير الحربية بأنه يمكن

الحصول على كافة المعلومات من سكرتير رئيس الجمهورية للمعلومات السيد سامي شرف، ويمكنه أيضا الاستعانة بالمخابرات العامة وإمكانياتها لتنفيذ المهمة فاجتمع قائد القوات البحرية مع سكرتير الرئيس للمعلومات سامي شرف، وعرض عليه الدخول في مفاوضات مع الشركة المالكة ، حتى تبعد عن مصر شبهة نسف الحفار، وفي نفس الوقت يتم عمل ترتيبات لتدمير الحفار، كما طلب منه توفير إمكانيات المخابرات العامة لتوصيل الضفادع البشرية ومعداتهم وألغامهم ، فرد سامي شرف بأن المخابرات العامة لديها تعليمات بوضع كافة إمكانياتها تحت تصرف القوات البحرية(١٣).

وحسب شهادة العقيد أنور عطية مندوب المخابرات الحربية في تنفيذ عملية تدمير الحفار التي ورد بها "أنه في نهاية سنة ١٩٦٩ كنت برتبة رائد بإدارة المخابرات الحربية والاستطلاع مسئولا عن البحرية الإسرائيلية في فرع المعلومات وصلت المعلومة بأن إسرائيل قامت باستئجار حفار بترول للتنقيب عن البترول في خليج السويس، وتم عقد اجتماع بالمخابرات العامة للتنسيق لتدمير الحفار، وكُلفت بحضوره، وكان معي ضابط متخصص في أعمال النسف والتدمير هو النقيب فتحي أبو طالب ، أثناء الاجتماع أخبرنا رئيس هيئة المعلومات بالمخابرات العامة بأنه قد تقرر التعامل مع الحفار ، الذي وصلت معلومة تؤكد دخوله العاصمة السنغالية داكار.... "

ويستطرد في شهادته " طلب مني خطة المخابرات الحربية للتعامل مع الحفار وكانت الخطة غير جاهزة في وقت عقد الاجتماع ثم أعلنت تحفظي على تدمير الحفار في هذا التوقيت وفي هذا البلد "السنغال" ، فبالنسبة للوقت يناير سنة ١٩٧٠ لم يكن بناء حائط الصواريخ المصري والمسئول عنه قيادة الدفاع الجوي،

قد اكتمل بناؤه، والذي كان مخططا الانتهاء منه في مارس سنة ١٩٧٠ ، حتى تكون مصر قادرة على استيعاب رد فعل الجانب الإسرائيلي، أما عن السنغال، فكانت مصر في غنى عن استعداء دول أخرى مثل السنغال ، أو هولندا صاحبة القاطرة" .

مما سبق نجد أن المعلومة قد وصلت لثلاث جهات في نفس الوقت هي المخابرات العامة والقوات البحرية وإدارة المخابرات الحربية ، على ذلك لا يستطيع طرف من الأطراف الثلاثة المذكورة إنكار دور باقي الأطراف أو الاستقلال بأداء المهمة .

تم تشكيل مجموعة تدمير من الجهات الثلاث، فمن المخابرات العامة تم اختيار السيد محمد نسيم للإشراف على تنفيذ العملية، والرائد أنور عطية من المخابرات الحربية للتنفيذ، وثمانية من رجال الضفادع البشرية المصرية، لتلغيم الحفار بالتنسيق مع قيادة القوات البحرية، حيث قام قائد القوات البحرية اللواء محمود عبد الرحمن فهمي باستدعاء الرائد خليفة جودت قائد لواء الوحدات الخاصة بالقوات البحرية بالإنابة ، نظراً لوجود قائد اللواء الأصلي في مأمورية خارج البلاد، وتم إخباره بالمهمة وتكليفه بعمل رسم تفصيلي للحفار من الصور الفوتوغرافية التي كانت موجودة بملف العملية الذي حصل عليه قائد القوات البحرية أثناء مقابلته بسكرتير رئيس الجمهورية للمعلومات. كما قام قائد القوات البحرية بتكليف العقيد بحري سعد رجب المتخصص في تصميم السفن ، بالتعاون مع الرائد خليفة جودت في إعداد التصميمات اللازمة من الصور الموجودة بالملف الخاص بالعملية وتم تكليف ورشة القوات البحرية بتجهيزها وتكليف الرائد خليفة بالقيام بالتنسيق مع المخابرات العامة على أسلوب نقلها ،وكانت مشكلة المتفجرات اللازمة للتنفيذ من

ضمن المشاكل التي واجهت المجموعة المحددة من المخابرات العامة بالإضافة للكمية المطلوبة للتنفيذ، وأخيرا كيفية نقل هذه الكمية لآلاف الأميال إلى مكان التعامل مع الحفار، إما عبر أفريقيا من القاهرة إلى مكان الحفار بالساحل الغربي لأفريقيا، أو من القاهرة للساحل الغربي لأفريقيا عبر مطارات أوروبا، وتم الالتزام بالاقتراح الثاني، وإعطاء اسم كودي للعملية باسم "الحاج"، وصدرت الأوامر بجهاز المخابرات العامة بعدم تبادل أي مكاتبات عن العملية حفاظاً على السرية الكاملة(١٤).

وبعد حسابات دقيقة عن قوة القاطرة الهولندية وسرعتها وكمية البترول التي يمكن حملها، كان من المتوقع ألا يتمكن الحفار من قطع الرحلة مرة واحدة، وأنه لابد من الدخول في إحدى موانئ الدول الأفريقية المطلة على الساحل الغربي لأفريقيا ، مثل: داكار – عاصمة السنغال ، ميناء تيما – غانا ، ابيدجان – عاصمة ساحل العاج، لاجوس أو هيركورت – نيجيريا ، بوانت نوار بالكونغوكينشاسا، وقد واجهت المجموعة المكلفة بتدمير الحفار مشكلة عدم وجود معلومات عن الحفارات البحرية عموماً ، وأسلوب عملها (١٥).

لذلك قام الرائد أنور عطية مندوب المخابرات المصرية في العملية بالتنسيق مع المهندس علي وإلى رئيس هيئة البترول المصرية ، وقدم نفسه على أنه مهندس بحري يقوم بإعداد رسالة ماجستير عن بناء السفن، وفي حاجة لمعلومات عن الحفارات البحرية لاستكمال رسالته ، قام المهندس علي والي بالاتصال بمدير شركة إسوESSO للبترول بالقاهرة، وكان أمريكي الجنسية، وطلب مساعدته، فأمده بمرجع عن الحفارات الموجودة في العالم، ومنها الحفار كينتج . وتم تشكيل مجموعة متحركة من المخابرات العامة لها مطلق الحرية في التحرك على الساحل

الغربي لأفريقيا، في منطقة العمل المتوقعة بالتعاون مع جماعات المخابرات العامة في بلدان غرب أفريقيا للحصول على المعلومات بتحركات الحفار ، بالإضافة إلى معلومات تم الحصول عليها من أجهزة المخابرات المتعاونة مع المخابرات المصرية ، وخصوصا في السودان وتنزانيا [١٦].

وتم تقسيم الساحل الأفريقي الغربي إلى أربع قطاعات عمل هي : الأول، ويبدأ من داكار بالسنغال إلى بوانت نوار بالكونغوكينشاسا، وهو قطاع حصول على معلومات وعمليات ، ويمكن التعامل منه مع الحفار، الثاني : ويبدأ من بوانت نوار بالكونغوكينشاسا حتى العاصمة التنزانية دار السلام، على الساحل الشرقي لأفريقيا، وهو قطاع جمع معلومات فقط ، الثالث : من دار السلام حتى جيبوتي على الساحل الشرقي لأفريقيا، وهو قطاع معلومات وعمليات، الرابع : البحر الأحمر وتنفرد القوات الجوية المصرية بالعمل لضرب الحفار فيه ، وهو حل أخير في حالة نجاح الحفار من الإفلات في القطاعات الثلاثة السابقة [١٧].

بالتعاون مع القوات البحرية، وإدارة المخابرات الحربية والاستطلاع ممثلة في النقيب فتحي أبو طالب المتخصص في النسف والتدمير، تم وضع خطة تلغيم الحفار وتدميره، كما اجتمع الرائد أنور عطية مندوب المخابرات الحربية باللواء محمود عبد الرحمن فهمي قائد القوات البحرية ، وسلمه خطاب من مدير المخابرات الحربية يطلب فيه عدد ستة ضباط من القوات الخاصة للقيام بالمهمة ، ولكن اللواء محمود وافق على عدد ثلاثة ضباط وثلاثة ضابط صف وقد يكون ذلك راجعا لخوفه من فقدهم أثناء المهمة مما يمثل خسارة كبيرة [١٨] .

وكانت وكالات الأنباء العالمية قد بثت خبراً عن زيارة رواد الفضاء الأمريكيين لبعض دول أفريقيا ، وتحديدا العاصمة أبيدجان ساحل العاج خلال

شهر فبراير ١٩٧٠، فتم التخطيط للاستفادة من هذه الزيارة حتى تكون البلد التي سيقف عندها الحفار كما هو متوقع مشغولاً بهذه الزيارة ، في نفس الوقت تم الاتفاق بين المخابرات العامة، ومجموعة من الممثلين المصريين على القيام بتصوير فيلم سينمائي مصري في غرب أفريقيا بمدينة لاجوس عاصمة نيجيريا، كغطاء لوصول مجموعة التدمير ، وبالفعل تم إعداد الفيلم "عماشة في الأدغال"[١٩] وكان ذلك من ضمن الحلول لتدمير الحفار بغرب أفريقيا، في منطقة منعزلة في حالة صعوبة ضربه في الميناء، ولذلك صدرت الأوامر لسفينة مصرية كانت تقوم بنقل الخضراوات من أفريقيا إلى هامبورج بألمانيا، لتغير اتجاهها وتدخل للعاصمة لاجوس بنيجيريا ، كان دور بعثة الفيلم السينمائي أن الصناديق التي تم نقل أدوات التصوير فيها من القاهرة كانت تحمل معها صواريخ نجحت الخبرة المصرية في تصنيعها في المصانع الحربية المصرية بعد حرب ١٩٦٧، لضرب أهداف إسرائيلية من فوق مناطق منعزلة على جبهة قناة السويس .

كانت السفينة التجارية المصرية قد وصلت إلى المنطقة المنعزلة في لاجوس في نفس توقيت وصول بعثة الفيلم، فقد كان من المخطط في حالة عدم دخول الحفار لميناء أبيدجان ووصوله إلى لاجوس، أن يصل أربع رجال من الضفادع البشرية تحت غطاء عمال في الفيلم المصري ، ويصعدوا مع بعثة الفيلم على ظهر السفينة المصرية التي وصلت إلى لاجوس ، ثم تحملهم السفينة إلى نقطة مجهولة وسط المحيط وترفع علماً مجهولاً بعد تغيير لونها في خلال ستة عشر ساعة، ثم تنزل القوارب المطاطية برجال الضفادع البشرية المرافقين للبعثة السينمائية[٢٠]، ويتجهوا إلى الحفار ويطلقوا عليه الصواريخ، ثم يعودوا مرة أخرى للسفينة التجارية، ومنها إلى مدينة لاجوس . أما باقي الخطط التي تم وضعها لتعطيل

الحفار فتتمثل فيما يلي : استئجار يخت في نفس الميناء الموجود بها الحفار ، ويتم إقامة حفلة ماجنة على ظهره وأثناء الحفل ينزل أفراد الضفادع البشرية لتلغيم الحفار وتفجيره، ثم الرحيل باليخت، أو ضرب الحفار بمدافع "أر بي جيه–RBJ" في حالة وصوله للبحر الأحمر بواسطة الصاعقة المصرية(٢١)، وأخيراً ضرب الحفار بواسطة القوات الجوية المصرية عند دخوله البحر الأحمر عن طريق مضيق باب المندب .

وكانت الخطة الأساسية، ومع أنها خطة بدائية، إلا أنها هي التي تم استخدامها، وهي قيام مجموعة من الضفادع البشرية بالسفر تحت سواتر مختلفة إلى البلد التي رسى فيها الحفار، ثم التسلل للميناء الموجود به الحفار لتلغيمه وتفجيره، كانت المشكلة التي واجهت المجموعة المنفذة في نقل المتفجرات والألغام عبر دول أوروبية، هي أن تلك الدول تقوم بالتفتيش الدقيق لكل ما هو عربي، بسبب حوادث اختطاف الطائرات التابعة لشركة العال الإسرائيلية وتفجيرها، ولذلك تم تخفيض عدد رجال الضفادع البشرية المنفذين من ثمانية إلى ستة فقط ، حتى تقل مخاطر انكشافهم، وتم الاتفاق على إتلاف الحفار وليس إغراقه، لأن الإتلاف سيعطله عن أداء المهمة، كان من المتوقع بعد حساب سرعة الحفار قادماً من شرق كندا إلى غرب أفريقيا وصوله خلال شهر فبراير سنة ١٩٧٠(٢٢).

وقد وصلت معلومة إلى مصر من العاصمة أبيدجان – ساحل العاج بوجود نشاط غير عادي لرجال المخابرات الإسرائيلية في أبيدجان، يستترون خلف ستار استقبال رواد الفضاء الأمريكان، في نفس الوقت وصلت بعثة الفيلم المصري إلى لاجوس–نيجيريا، لاحتمال تنفيذ الحل البديل في حالة فشل الإتلاف داخل ميناء وصلت الأخبار بوصول الحفار إلى العاصمة السنغالية داكار، ١٦ فبراير سنة ١٩٧٠ "أول أيام عيد الأضحى" تم اتخاذ أولى خطوات عملية إتلاف الحفار،

وتمثلت في الآتي : سفر قائد العملية الرائد أنور عطية للاستكشاف يوم الثلاثاء ١٧ فبراير سنة ١٩٧٠ إلى العاصمة السنغالية، على أن يسافر رجال الضفادع البشرية الأربعاء ١٨ فبراير بقيادة الرائد خليفة جودت وأن يتم تنفيذ المهمة في ١٩ فبراير سنة ١٩٧٠(٢٣).

كان أمام محمد نسيم مندوب المخابرات العامة الذي وصل لداكار قبل ذلك، مهمة كبيرة وهي: إجراء اتصالات مع الأطراف التي ستساعده داخل العاصمة داكار، دراسة مكان الحفار، على أي رصيف بالميناء يقف، كيفية الوصول إليه، نقطة الوثوب والطريق إليها، المياه بالميناء وطبيعتها وعمقها، احتمالات وجود أسماك متوحشة أو ضارة أو قاتلة فيها، الحراسة حول الحفار، المسافة من نقطة الوثوب من الميناء ذهابا وإيابا، الوقت اللازم للتنفيذ والانسحاب، الرجال المنفذون وكيفية نقلهم وحمايتهم، ملابسهم ومعداتهم، واستقبالهم ووداعهم .

استكمالاً للتنسيق بين المخابرات العامة ووزارة الخارجية قام السيد محمد نسيم مندوب المخابرات العامة بمقابلة السفير المصري بداكار السيد نجيب قدري، وأخبره بالمهمة حتى يواجه المسئولين السنغاليين إذا تطلب الأمر ذلك، رفض السفير المصري الفكرة متعللاً بأن هذه العملية سوف تسئ للعلاقات بين مصر والسنغال وقام بإرسال برقية إلى وزارة الخارجية المصرية بألا تتم العملية، قبل سفر مجموعة الضفادع البشرية تم تقسيمهم إلى مجموعتين هما: الأولى ، تتكون من أربع أفراد هم: الرائد خليفة جودت، ملازم أول حسين الشراكي، ملازم أول محمود سعد، ورقيب متطوع أحمد المصري، وتتجه المجموعة من القاهرة إلى باريس ثم إلى داكار الثانية، وتتكون من ثلاث أفراد : ملازم أول عادل السعداوي ، رقيب متطوع حامد طه، ورقيب متطوع جاد عبد العال، وتتجه من القاهرة ـ زيورخ ـ داكار، تم

الأخذ في الاعتبار إمكانية التنفيذ بمجموعة واحدة فقط إذا حالت الظروف دون وصول المجموعة الثانية، وقبل وصول مجموعات التنفيذ وصلت معلومة للسيد محمد نسيم مندوب المخابرات العامة، والموجود بداكار، من رجل أعمال سوري يقيم بداكار تفيد بأنه تقابل مع وزير الداخلية السنغالي الذي أبدى ملحوظة عن التكاثف الواضح للوجود المصري بداكار هذه الأيام[٢٤] .

وصلت المجموعات إلى داكار حسب التوقيتات ، وقابلهم في المطار محمد نسيم الذي أشار إلى الرائد أنور عطية بعلامة بيديه تفيد بخروج الحفار من داكار . ظهرت عدة أسئلة منها: كيف خرج الحفار، لم خرج في هذا التوقيت بالذات، ما الذي دفع الإسرائيليين إلى التعجل بالخروج ، وهل هي مصادفة أم أنه حدث مقصود[٢٥] ؟

وصل الأمر إلى الشك في كل فرد علم بالخطة ، فهناك الرائد خليفة الموجود بداكار، ومندوب المخابرات العامة السيد محمد نسيم الذي كان يتابع الحفار، ومعه رجل الأعمال السوري الذي أخبره بملحوظة وزير الداخلية السنغالي في نفس الأسبوع عن وصول نسبة عالية من المصريين إلى داكار، فهل وصلت هذه المعلومة إلى إسرائيل، وهل تحدث وزير الداخلية السنغالي مع أحد غير رجل الأعمال السوري، وهل تحدث رجل الأعمال السوري بالسنغال مع أحد غير محمد نسيم؟ أما بالنسبة للشك في أحد من مجموعة التنفيذ ، فلم يكن أحدهم يعرف أين سيتجه من القاهرة، حيث استلموا جوازات السفر ومحطة الوصول في المطار قبل الإقلاع، وما نوع الهدف، وتوقيت التنفيذ ، وإن كان توقيت غير مجدٍ إذا تسرب نوع الهدف ومحطة الوصول[٢٦] .

أم أن الخبر تسرب عن طريق السفير المصري نجيب قدري، الذي أبدى رفضه عندما علم بالمهمة وأرسل رسالة لمصر تطلب من القيادة السياسية عدم تنفيذها، فتسربت شفرة الرسالة؟ أم أن المخابرات الإسرائيلية ربطت بين وصول المصريين بداكار، ووصول البعثة السينمائية لنيجيريا في نفس الوقت تقريبا، فقررت سرعة تحرك الحفار إلى جهة غير معلومة، وسبب آخر هو وجود جاسوس إسرائيلي بالقاهرة عموما، أو داخل القوات البحرية ولواء الوحدات الخاصة على وجه الخصوص الذي أخبر عن اختفاء الرائد خليفة جودت ومجموعة الضفادع البشرية من مدة، فقامت المخابرات الإسرائيلية بالربط بين اختفاء هذه المجموعة وبين رسو الحفار في غرب أفريقيا، وتتبعت حركة الحجوزات لهذه الدول الأفريقية على مسارات خطوط الطيران، وخصوصا غير المباشرة من القاهرة، نظرا لسهولة اكتشاف المجموعة عن طريق عيونهم، كما أن لها عيون في دول غرب أفريقيا، وربطت بين تزايد الوجود المصري خلال المدة الأخيرة ، وبناءً على ذلك تحركوا؟ وتم عودة المجموعات المنفذة مرة أخرى للقاهرة [٢٧] .

وعلى الرغم من فشل محاولة ضرب الحفار في داكار، إلا أنها أثبتت أنه في إمكان القوات الخاصة المصرية التحرك بسرعة، وتم اعتبارها بمثابة تجربة لمحاولة أخرى ستتم فيما بعد. بعد خروج الحفار من داكار كان أمامه عدة موانئ مثل، كوناكري- غينيا ، فري تاون - سيراليون ، أبيدجان - ساحل العاج، أكرا- غانا، بورتونوفو -توجو ، لاجوس- نيجيريا، بوانت نوار -الكونغوكينشاسا ، فقد كان على الحفار أن يدخل إحدى هذه الموانئ قبل أن يصل إلى رأس الرجاء الصالح كيب تاون بجنوب أفريقيا، حيث يصبح فيها بعيداً عن الأيدي المصرية، فمثلا إذا توقف الحفار في أنجولا المستعمرة البرتغالية ، فلا يمكن دخولها، كما لا

يمكن دخول دول جنوب غرب أفريقيا أو موزمبيق المستعمرة البرتغالية. ورجحت الاحتمالات دخول الحفار أبيدجان، نظرا للعلاقات الوثيقة بين إسرائيل وساحل العاج . كما كانت إسرائيل في هذه الفترة على وشك افتتاح فندق لها في ساحل العاج فندق لافوارLavwar، كعنوان للصداقة بين البلدين، وهذا يعني أن دخول المصريين إلى ساحل العاج سيكون محفوفاً بالمخاطر وعلامات الاستفهام، كما أن الزيارة المتوقعة لرواد الفضاء الأمريكان للعاصمة أبيدجان تعني حراسة مشددة من جانب رجال المخابرات الأمريكية، وهو ما يعني في نفس الوقت حراسة مشددة على الحفار ولو بطريقة غير مباشرة، والسبب الثالث لاحتمال دخول الحفار لساحل العاج هو وجود القاطرة ألبي Alpy التي حصلت على حاجتها من وقود ومياه من داكار بالسنغال، والتي كان من المفترض أن تسحب الحفار من داكار بدلا من القاطرة جاكوب فان هيمو كيرك، على رصيف ميناء أبيدجان، وأحيطت بحراسة قوية [٢٨].

كان الاحتمال الآخر هو دخول الحفار إلى لاجوس بنيجيريا، وعلى سبيل التمويه تم إدخال القاطرة ألبي إلى أبيدجان، ويكمل هو إلى لاجوس، وإذا كانت أبيدجان أنسب مكان بالنسبة للمصريين واستعدادهم ، فهي كذلك أنسب مكان لرسو الحفار بالنسبة للإسرائيليين ذاتهم . بعد العودة للقاهرة تم عقد اجتماع للتنسيق للمرحلة المقبلة، وتم الاتفاق على سفر الرائد أنور عطية لنيجيريا وساحل العاج، سافر أنور عطية وقابل سفير مصر في نيجيريا السيد كمال زادة الذي قدم كل مساعدة ممكنة ، حيث أخذ الرائد أنور لميناء لاجوس، ولم يكن الحفار موجودا بها[٢٩] .

سافر الرائد أنور بعد ذلك إلى أبيدجان وقابل السفير المصري إحسان طلعت[٣٠]، والذي كان قبل عمله بالخارجية ضابطاً بالقوات البحرية يعمل على الفرقاطة رشيد سنة ١٩٥٢، وأخذه إلى ميناء أبيدجان حيث وجد الحفار موجودا بها. وفي يوم ٣ مارس سنة ١٩٧٠ اجتمع السيد أمين هويدي مدير المخابرات العامة برجال الضفادع البشرية لتلقينهم بالمهمة بعد وصول رسالة من ساحل العاج عن طريق الرائد أنور تفيد بوجود الحفار في أبيدجان ، وانفصال القاطرة جاكوب عنه ووقوفه بجوار القاطرة ألبي البلجيكية ، مساء ٦ مارس سنة ١٩٧٠ غادرت المجموعة الأولى القاهرة [٣١] إلى باريس، وتتكون من : الرائد خليفة جودت، ملازم أول حسين الشراكي، ملازم أول محمود سعد ورقيب متطوع أحمد المصري، ووصلت أبيدجان بعد ظهر ٧ مارس ، أما المجموعة الثانية فقد سافرت يوم ٧ مارس عن طريق القاهرة – أكرا بغانا – أبيدجان ، فوصلت أبيدجان فجر ٩ مارس "بعد تنفيذ المجموعة الأولى للعملية" [٣٢] .

كان من رأي كلاً من مندوب المخابرات العامة محمد نسيم، ومندوب المخابرات الحربية أنور عطية هو تنفيذ عملية التفجير في نفس يوم وصول المجموعة الأولى، لأنه في هذا اليوم تحديدا سيزور أبيدجان رائد الفضاء الأمريكي الآن شبرد Alan Shepard، وبالتالي سيكون جزءً كبيراً من أفراد الشرطة مشغولين في التشريفة والاحتفال به، وقامت المجموعة الأولى بمجرد وصولها مع السيد محمد نسيم ، والرائد أنور عطية ، والمجموعة التي ستقوم بالتنفيذ باستطلاع ميناء أبيدجان ،الساعة ٠٣٠٠ ليلة ٧ ، ٨ مارس ١٩٧٠ ذهبت المجموعة إلى ميناء أبيدجان في سيارة تابعة للسفارة المصرية .

وعند الساعة ٠٤٣٠ فجر ٨ مارس وصلت المجموعة للحفار وتم إلصاق الألغام، و ضبط التفجير على الساعة ٠٨٠٠ صباح ٨ مارس ، وذلك حتى يتم إعطاء الفرصة للمجموعة بالعودة إلى الفندق وركوب الطائرة ، والتي قام بالحجز بها مندوب المخابرات العامة السيد محمد نسيم ، لتغادر مطار أبيدجان في حوالي الساعة ١٠٠٠ صباح ٨ مارس، وفي المطار لحق السيد محمد نسيم بالمجموعة المسافرة بعد أن تأكد من انفجار الألغام من خلال الفندق المجاور للميناء، وفي نفس الوقت كان السفير المصري في انتظار المجموعة الثانية من الضفادع البشرية المصرية ، فأخذ منهم المعدات التي كانت معهم ثم قام بترحيلهم على نفس الطائرة بعد أن طمأنهم بتمام تنفيذ العملية (٣٣) .

يوم ٩ مارس سنة ١٩٧٠ وصلت المجموعة المنفذة بقيادة الرائد خليفة جودت للقاهرة ، بعد تقسيمهم إلى جزأين، الأول عن طريق لاجوس، والثاني عن طريق وجادوجو- فولتا العليا- بوركينا فاسو حاليا . وتم استقبالهم في القاهرة بحفاوة، استدعت وزارة الخارجية بساحل العاج السفير المصري إحسان طلعت، وسألته عن الحادث، فنفى أي اشتراك للمصريين، بل اتهم إسرائيل بأنها وراء الحادث لكي تحصل على قيمة التأمين الخاص بالحفار، ولكن تل أبيب كانت تعلم تماما بأن البحرية المصرية هي التي نفذت العملية، وأثناء اجتماع الرئيس جمال عبد الناصر بقادة القوات المسلحة بعد تنفيذ العملية، أرسل الفريق أول محمد أحمد فوزي وزير الحربية ورقة لقائد القوات البحرية مكتوب بها "أطلب ما تشاء اليوم، الرئيس على استعداد لإجابة جميع مطالبك"، فكان طلب قائد القوات البحرية هو تحديث ما لدى القوات البحرية من معدات حرب إلكترونية (٣٤) .

وفي أواخر مارس سنة ١٩٧٠ ظهرت بجريدة الأهرام المصرية مقالة تحت عنوان الحفار، كتبها محمد حسنين هيكل، وذكر فيها قصة نسف الحفار الإسرائيلي في أبيدجان، غير أنه أشار إلى أن مدبريها مجهولون، كما نشرت الأهرام في عددها الصادر ٥ يونيو سنة ١٩٧٠، عنواناً ورد به أن الشركة الكندية تلغي عقدها مع إسرائيل للبحث عن البترول في خليج السويس، وقد قام الرئيس جمال عبد الناصر بتكريم الأفراد الذين قاموا بعملية تعطيل الحفار في مبنى المخابرات العامة، توقفت مشروعات إسرائيل لاستخراج البترول في خليج السويس بعد نجاح العملية التي دمرت الحفار، وهكذا كانت حرب الاستنزاف نضالاً مشرفاً للقوات البحرية المصرية، وتمهيداً جاداً لتحرير الأرض في سيناء[٣٥] .

الهوامش

(1)Brown L. Carol, Diplomacy in The Middle East, The International Releations of Regional and Outside Powers, Co LTD Canada, 2004, P. 320 ; Moshe Gat, in Search of A Peace Settlement, Egypt and Israel Between the Wars, 1967- 1973, Palgrave, Macmillan, London, 2012, P. 148 .

(٢) عادل حسين ، مصر والمصريين ، أحداث وقائع النصف الثاني من القرن العشرين ، عن حرب الاستنزاف إلى العبور العظيم ، جـ٣ ، ط١، دار أمادو للنشر ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٨٣.

(٣) صالح مرسي ، الحفار ، ط٤ ، مكتبة مدبولي الصغير ، ١٩٩٠ ، ص ١٩.

(4)NewsnerJacop, Bruce D. Chilton, R E Tully, Just War in Religionand Politics, University Press of America, 2013, P. 313 .

(5) Dani Asher, the Egyptian Strategy for the Yom Kippur War, An Analysis-Mc Farland& Company, 2009, P. 247 .

(٦) صالح مرسي ، مرجع سابق ، ص ٣٣.

(٧) هيئة البحوث العسكرية ، صفحات مضيئة من تاريخ مصر العسكري ، حرب الاستنزاف ، يونيو ١٩٦٧ – أغسطس ١٩٧٠، ص ١٣٣.

(8) George W. Gawrych, the Albatross of Decisive Vectory, War and Policy Between Egypt and Israel in the 1967 and 1973 Arab-Israeli Wars, Praeger Press, USA, 2000, P. 79

(٩) أشرف محمد رفعت ، إعداد القوات البحرية لحرب أكتوبر ، مجلة الدفاع ، العدد ٢٤٣ ، أكتوبر ٢٠٠٦ ، ص ٦٦.

(١٠) نفسه ، ص ٦٧ .

(١١) أمين هويدي ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

(١٢)عبد المنعم واصل ، الصراع العربي الإسرائيلي ، ط١ ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٢ ، ص ١٥٥.

(١٣) محمود عبد الرحمن فهمي ، صفحة من التاريخ ، المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٦ .، ص ٢٢٠.

(١٤) نفسه ، ص ٢٢٧.

(١٥) أنور عطية ، مقابلة شخصية .

(١٦) أمين هويدي ، ٥٠ عاما من العواصف ، ما رأيته قلته ، مركز الاهرام للترجمة و النشر ، ٢٠٠٢ ، ص ٢١٠ .

(١٧) هيئة البحوث العسكرية ، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(١٨) أمين هويدي ، الفرص الضائعة ، ص ١٥٧.

(١٩) قامت المخابرات المركزية الأمريكية CIA بتكرار نفس الموقف عندما حاولت إطلاق سراح أربع رهائن من السفارة الكندية بالعاصمة الإيرانية طهران بعد هروبهم من السفارة الأمريكية بطهران والتي قام مجموعة من الطلبة الإيرانيين باحتجاز ستة وستون دبلوماسي أمريكي فتوجهت مجموعة من المخابرات الأمريكية مع فريق عمل سينيمائي تركي ودخل الحدود الإيرانية التركية على أنهم أتراك لتصوير فيلم سينيمائي يسمى "أرجو" تم تصوير العملية في فيلم يحمل نفس الإسم وحصل على جائزة أوسكار أحسن فيلم في فبراير ٢٠١٣

(٢٠) محمود عبد الرحمن فهمي ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

(٢١) أمين هويدي. ٥٠ عاما من العواصف ، ص ٢١٤ .

(٢٢) صالح مرسي مرجع سابق ، ص ١٥٧.

(٢٣) محمود عبد الرحمن فهمي ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

(٢٤) أنور عطية ، مقابلة شخصية .

(٢٥) أمين هويدي ، الفرص الضائعة ، ص ١٥٨.

(٢٦) صالح مرسي ، مرجع سابق ، ص ١٨٠.

(٢٧) محمود عبد الرحمن فهمي ، مرجع سابق ، ص ٢١٨.

(٢٨) أنور عطية ، مقابلة شخصية .

(٢٩) أمين هويدي ، الفرص الضائعة ، ص ١٥٨ .

(٣٠) تم عرض موقف السفير المساعد للمجموعات على رئيس الجمهورية فتم منحه وساماً، ولكن تم ذلك سنة ١٩٧٥ والذي قدمه له اللواء محمود عبد الرحمن فهمي الذي شغل منصب وزارة النقل البحري .

(٣١) هيئة البحوث العسكرية ، مرجع سابق ، ص ٢١٥ .

(٣٢) محمود عبد الرحمن فهمي ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ .

(٣٣) أمين هويدي ، ٥٠ عاما من العواصف ، ص ٢١٨ .

(٣٤) محمود عبدالرحمن فهمي ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

(٣٥) أحمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، خريف عبد الناصر ، ط ٢ ، مكتبة الشروق ، ١٩٨٤ ، ص ٢٨٠.